

الأمثل في تفسير كتاب الإن المنزل

[76] بحوث 1 - هل أبدى الرسول ليونة إزاء المشركين؟ بالرغم من أن بعض السطحين أرادوا الإستفادة من هذه الآيات لِنفي العصمة عن الأنبياء، وقالوا أنَّهُ طبقاً للآيات أعلاه وأسباب الذّول المرتبطة بها إنّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قد أبدى ليونة إزاء عبدة الأصنام، وأنّ الله عاتبه على ذلك. إنّ الله أنَّهُ هذه الآيات صريحة في افهام مقصودها بحيث لا تحتاج إلى شواهد أخرى على بطلان هذا النوع من التفكير، لأنّ الآية الثّانية تقول وبصراحة: (ولولا أن ثبتّناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً). ومفهوم التثبوت الإلهي (والذي نعتبره بأزّه العصمة) أنّهُ منع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من التوجه إلى مزلق عبدة الأصنام، ولا يعني طاهر الآية - في حال أنّهُ(صلى الله عليه وآله وسلم) مال إلى المشركين، ثمّ نُهي عن ذلك بوحي من الله تعالى. وتوضيح ذلك، إنّ الآية الأولى والثّانية هما في الحقيقة إشارة إلى حالتين مختلفتين للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، الحالة الأولى هي الحالة البشرية والإِنسانية والتي تجلّت بشكل واضح في الآية الأولى، وبمقتضى هذه الحالة يُمكن تأثير وساوس الأعداء في الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) خاصّة إذا كانت ثمّة مرجحات في إظهار الليونة والتوجّه إليهم، من قبيل رغبتهم(صلى الله عليه وآله وسلم) في أن يسلم زعماء الشرك بعد إظهار الليونة، أو أن يمنع بذلك سفك الدماء. والآية تكشف عن احتمال وقوع الإنسان العادي ومهما كان قوياً تحت تأثير الأعداء. أمّا الآية الثّانية فهي ذات طبيعة معنوية، إذ هي تبيّن العصمة الإلهية ولطفه الخاص سبحانه وتعالى الذي يشمل به الأنبياء خصوصاً نبي الإسلام(صلى الله عليه وآله وسلم) حينما يمر بمنعطفات ومزلق دقيقة. والنتيجة أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بالطبع البشري قد وصل إلى حافة القبول ببعض وساوس الأعداء، إنّ الله أن التأييد الإلهي (العصمة) ثبتهُ وحفظه وأنقذه من الإنزلاق.